The Phenomenon of Luxury : A Historical Study in Light of Divine Laws

Assistant Professor Dr. Hassan Thajib Muheel
University of Basrah / College of Education for Women
E-mail: hassan.thagep@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This study examines the "phenomenon of luxury" as an inevitable divine law and a strict principle governing the destinies of states. The study reveals that luxury functions as a silent disease that eats away at the body of the nation: it begins with the corruption of hearts and morals and ends with the collapse of civilization and the disappearance of authority. Divine laws have made luxury a point of no return in the life of peoples; whenever the affluent become dominant and transgressive, the divine law of replacement and destruction becomes inevitable, as a realization of divine justice on earth.

Keywords: luxury, divine laws, blessings.

ظاهرة الترف / دراسة تأريخية في ضوء السنن الإلهية

الاستاذ المساعد الدكتور حسن ثاجب محيل
جامعة البصرة / كلية التربية للبنات
E-mail: hassan.thagep@uobasrah.edu.iq

الملخص:

تتناول هذه الدراسة "ظاهرة الترف" بوصفها سُنّة إلهية حتمية وقانوناً صارماً يحكم مصائر الدول ، وتكشف الدراسة أن الترف يعمل كمرض صامت ينخر في جسد الأمة، فيبدأ بفساد القلوب والأخلاق، وينتهي بإنهيار العمران وزوال السلطان ، فالسنن الإلهية جعلت من الترف نقطة اللاعودة في حياة الشعوب، فمتى ما طغى المترفون، وجبت سُنّة الاستبدال والهلاك، تحقيقاً للعدالة الإلهية في الأرض.

الكلمات المفتاحية : الترف ، السنن الإلهية ، النعم .

المقدمة:

إن المتأمل في حركة التاريخ البشري، والمستقرئ لأحوال الأمم السالفة، يدرك بيقين لا يخالطه شك أن قيام الدول وسقوطها لا يخضع للصدفة العمياء أو العبثية المطلقة، بل ينتظم وفق "سنن إلهية" صارمة، وقوانين اجتماعية مطردة، تشبه في دقتها قوانين الفيزياء والرياضيات، ولعل من أخطر هذه السنن التي تحكم نهايات الدول ومصارع الحضارات هي "سنة الترف" ، تلك الظاهرة التي تمثل الطور الأخير في دورة حياة الدولة، حيث يتحول رغد العيش من وسيلة لعمارة الأرض وشكر المنعم، إلى معول هدم ينخر في عضد الدولة، ويفكك عرى التماسك الاجتماعي، مؤذناً بحلول العقاب الكوني والهلاك الحضاري.

والترف في المنظور الإسلامي ليس مجرد كثرة المال أو سعة الرزق ، فالغنى بحد ذاته ليس مذموماً وإنما هو حالة نفسية واجتماعية تطرأ على النفس البشرية حينما تطغيها النعمة، فتجنح إلى الدعة، والبطر، والاستكبار عن الحق ، وقد أولى القرآن الكريم هذه الظاهرة عناية فائقة، فذكر "الترف" ومشتقاته في ثمانية مواضع، جاءت كلها في سياق الذم والوعيد، ورطت بين "المترفين" وبين تكذيب الرسل ومقاومة الإصلاح ، يقول الله تعالى موضحاً هذه التلازمية(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)[1] فالمترفون هم دائماً سدنة الجمود، وأعداء التغيير، لأن الترف يورث بلادة في الشعور، وقسوة في القلب، وعمىً عن رؤية العواقب.

وعلى المستوى النبوي، حذر النبي صل الله عليه وآله أمته من إنفتاح الدنيا ، واعتبرها الاختبار الأصعب، أشد من اختبار الفقر والشدة ، فقد أدرك صل الله عليه وآله بنور النبوة أن الترف يقتل روح الفتوة والجهاد في الأمة، ويشعل نار التنافس المذموم على الحطام الزائل ، روى البخاري عن عمرو بن عوف الأنصاري أن النبي صل الله عليه وآله قال: " فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"[2].

أما من الناحية الاجتماعية والتاريخية، فقد شخّص ابن خلدون ظاهرة الترف تشخيصاً تشريحياً دقيقاً في مقدمته، وربط بين الترف وبين فساد الأخلاق، حيث يتفنن المترفون في أصناف الملذات، مما يستنزف بيت المال، ويدفع السلطان لفرض المكوس والضرائب الجائرة، فتخرب الأسواق، وتفسد الرعية، ويطمع العدو الخارجي في الدولة التي نخرها السوس من الداخل[3].

إن التاريخ الإسلامي، بل والإنساني عامة، حافل بالشواهد التي تصدق هذه السنن، فما سقطت الدولة الأموية، ولا تداعت الدولة العباسية ، رغم قوتها المادية إلا حينما غرق خلفاؤها وحاشيتها في ترف القصور، وتركوا ميادين الثغور، ولعل سقوط الأندلس يبقى الشاهد الأبرز، حيث انغمس ملوك الطوائف في حياة البذخ والغناء، وبنوا القصور المنيفة بينما كانت جيوش قشتالة تدق الأسوار[4].

من هنا، تأتي أهمية هذه الدراسة لتسليط الضوء على "ظاهرة الترف" ليس بوصفها حدثاً اقتصادياً عابراً، بل بإعتبارها "سنة إلهية جارية" وقانوناً تاريخياً حاكماً ، ستحاول الدراسة استجلاء مظاهر هذا الداء، وكيفية عمل السنن الإلهية في استئصال المترفين، وكيف يمكن للأمم أن تتوقى مصارع السوء بفهم هذه السنن والاعتبار بها، مصداقاً لقوله تعالى:(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٥].

المطلب الأول : مفهوم الترف والسنن الإلهية لغة واصطلاحاً:

أولاً : الترف لغة وإصطلاحا

جاء في معاجم اللغة العربية أن التَّرف بمعى التنعم، والترفة النعمة، والتتريف حسن الغذاء، وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللاً ، والمترف الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش ، وأترفته النعمة أي أطغته، وفي الحديث إن إبراهيم عليه السلام ، " فرَّ به من جبار مترف" [٦]، وقوله تعالى: (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا)[٧] ، أي رؤساؤهم وكبراؤهم وأشرافهم و قاداتهم في الشرك[٨].

وقيل في معنى ترف، في قوله تعالى: (وَأَتْرَفْنَاهُمْ)[٩]، أي نعمناهم وبقيناهم في الملك، ومثل قوله تعالى: (أُتْرِفُواْ)[١٠] ، أي الذين نعموا في الدنيا بغير طاعة الله، والمترف: المتروك يصنع ما يشاء، وإنما قيل للمتنعم مترف لأنه لا يمنع من تنعمه، فهو مطلق فيه[١١].

أما في الإصطلاح ، فهو التنعم بإستهلاك وفير من الكماليات، على اختلاف أصنافها، أو اقتنائها، أو هو رفه فى إشباع رغبات النفس فوق ضروراتها وحاجياتها العادية، ومن ثم فالترف قرين الثراء، ولكن العكس ليس بالضرورة صحيحاً[١٢].

وقد بين القرآن أن المترفين أثرياء بلا عقيدة، فقال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين)[١٣] ، وأن كثرتهم أو تحكمهم فى مجتمع مدعاة لهلاكه ، فقال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)[١٤].

وهنالك جملة من الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الترف ومنها:

١- الإسراف ، وهو مجاوزة الحد في التوسع في الدنيا[١٥]، قال الله تعالى (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[١٦]، وتوجد علاقة وثيقة لصيقة ، بين الترف والإسراف ، فالإسراف يعد أول خطوة، أو أول الطريق للترف، فإذا رأيت شخصاً بدأ يعتاد السرف في نفقته فإعلم أنه قد بدأ يشق طريقه نحو الترف[١٧]

ولذلك ورد النهي عن الاسراف وإتباع المسرفين وطاعتهم، لأنهم بإسرافهم يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يتأتى منهم إصلاح، فيجرون من يتبعهم إلى هذا الداء، الذي إذا استشرى فيهم يتحولون إلى مفسدين في الأرض ، قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)[١٨].

ورغم العلاقة الوثيقة بين اللفظين ، إلا أنه يوجد فرق بين الإسراف والترف ، وهذا الفرق يتمحور بجانبين :

الجانب الأول: أنَّ الإسراف عام في كل شي، في النعمة وغيرها كالقتل، قال تعال (فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ)[١٩]، أما الترف هو مرتبط بالنعمة فقط.

الجانب الثاني: الإسراف قد يكون معه بطر وكفر بالنعمة وقد لا يكون، أما الترف فيكون معه بطر وكفر بالنعمة [٢٠].

٢- التبذير، وهو إنفاق المال في غير رضى الله، ولا فيما يلزم الإنسان في نفسه وأهله ، فإذا أنفقه في غير ذلك صار في معاصي الله[٢١]، قال الله تعالى(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)[٢٢].

٣- التقتير، هو تضييق في النفقة ، ويقابله الإسراف[٢٣] ، قال الله تعالى . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا)[٢٤].

٤- البطر ، وهو الطغيان في النعمة وترك شكرها ، وهذا ما أوضحه الراغب الاصفهاني بقوله : " هو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها"[٢٥].

وقد يكون الترف سبب من أسباب البطر، فالإنسان إذا كان مترفاً منعماً في حياته قد يصل به الحال إلى البطر ، وهو الطغيان وتجاوز الحد ،كذلك المترف يكون متمحوراً حول نفسه، همه هم نفسه ينعمها ويدللها ويجري حول شهواتها، أما المبطر يفتخر على الناس ويترفع عنهم، وينسب ما فيه من النعم إلى نفسه ، فالعلاقة بين الترف والبطر علاقة تلازمية سببية، فالبطر لازم والترف ملزوم وهو سبب من أسباب البطر[٢٦].

يتضح مما تقدم من التعريف اللغوي والإصطلاحي والألفاظ ذات الصلة لمفهوم الترف ، أن أهل الترف هم الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، سواء في مجال العقيدة، أم في مجال السلوك العملي، ولا يُستفاد من كلام أهل اللغة والاصطلاح، حصر أهل الترف بالرؤساء وقادة الشرّ، وإنّما الذي أوضحه الطريحي في تعريفه للترف بأنه التنعم في الدنيا بغير طاعة الله تعالى، وهذا التنعم مثلما أنه ينطبق على قادة الشرّ، فإنّه ينطبق على كل مترف بدّل نعمة الله كفراً، وقد يكون هذا المترف فرداً أو جماعة، أو مجتمعاً، أو سلطة حاكمة، كما هو حال وشأن السلطات التي تعاقبت على حكم المسلمين وغيرهم في تاريخ الإنسان، ومن هنا يمكن لنا أن نميّز بين النعمة بما هي نعمة أفاضها الله تعالى على الإنسان لتكون في سبيل الله تعالى، وبين التُّرْفة بما هي شهوة ولذّة وخروج عن طاعة الله تعالى، وكثير من الناس ممّن بدّلوا النعمة إلى ترفة[٢٧].

ثانياً : السنن الإلهية لغة وإصطلاحاً

وهذا المصطلح مركب ، فسُنَّة الله هي أحكامه، وأمره، ونهيه، يقال : سنَّها الله للناس أي بيَّنها، وسنَّ الله سُنَّة، أي: بيَّن طريقًا قويماً[٢٨]، قال الله تعالى:(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ)[٢٩]، وهي بذلك الطريقة والسيرة والعادة، وسنة النبي صل الله عليه وآله طريقته التي كان يتحراها، وسُنَّة الله تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته[٣٠].

أما في الاصطلاح ، فقد جاءت بمعنيين اثنين في القرآن الكريم ، الأول: وقائع الهلاك بالمكذبين للرسل ، والثاني: المناهج والشرائع في الأمم السالفة، وبناءاً على ذلك يمكن تعريف السنة الإلهية كمركب إضافي بأنها: القوانين والنظم الثابتة والمُطَّردة التي أقرها الله تعالى في الكون والحياة لتنظيم سيرها ومعاملاته، والتي تحكم حركة الكون والإنسان والمجتمعات، وتُظهر عدل الله وحكمته في الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية، وهي تنقسم إلى سنن كونية (مادية) وسنن شرعية (أخلاقية) تسري على الجميع بلا استثناء، وتتطلب التفكر والتدبر لفهمها ، وبعبارة اخرى هي حكم الله المطَّرِد في المكوَّنات[٣١].

وما دامت السنة الإلهية هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم فإنها تتسم بالثبات والاطراد والعموم ، وهذا هو شأن القاعدة القانونية ، فهي ثابتة لا تتغير، قال تعالى : (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)[٣٢].

المطلب الثاني: السمات النفسية والأنماط السلوكية للمترفين في الرؤية القرآنية

قد ينصرف ذهن القارئ أو الباحث للوهلة الأولى إلى أن ذمّ "الترف" في القرآن الكريم يستهدف ذات النعمة أو عين المال، وهذا فهمٌ قاصر ، إذ إن المنهج القرآن لا يذم النعمة بوصفها فضلاً إلهياً، بل قد ورد الثناء على المال وسعة الرزق في مواضع شتى بإعتبارها من زينة الله التي أخرج لعباده، وضرورة من ضرورات قوام الحياة البشرية وإستقرارها، وتتجلى هذه الحقيقة في قوله تعالى(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)[٣٣].

بيد أن التمعن في المقاصد القرآنية يكشف أن "الترف" المذموم هو حالة إختيارية من الانغماس في الملاذ تؤدي بالمرء إلى البطر، وتحول النعمة من وسيلة للشكر إلى أداة للكفر والتكبر ، لذا نجد أن السياق القرآني أورد لفظ "الترف" بمشتقاته في مواضع متعددة، جاءت جميعها في معرض الذم والتحذير، لارتباطها بإنسلاخ الإنسان من فطرته السوية ، ويمكن إستقراء دلالات الترف وعلاقاته البنيوية بالسلوك البشري من خلال النقاط الآتية:

أ – التلازم بين الترف والفسق: إذ يربط القرآن بين الإستغراق في الترف وبين الخروج عن طاعة الله (الفسق)، حيث يصبح الترف بيئة خصبة للإنحلال السلوكي الذي يستوجب نزول العذاب، كما في قوله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[٣٤].

ب – الترف والظلم الاجتماعي: يتجلى الترف كدافع للتعدي على حقوق الآخرين والسكوت عن المنكر، فالمترف يغلب شهواته على مصلحة الصلاح العام، قال تعالى(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)[٣٥].

ج – الصد عن سبيل الله : فغالباً ما يكون المترفون هم حائط الصد الأول أمام دعوات الإصلاح والاستقامة، لمنافاة الهداية لشهواتهم، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)[٣٦].

د – التكبر على الرسل ومناهضة الوحي : يسعى المترفون دوماً لتسفيه الرسل وتكذيب الدار الآخرة، متمسكين بماديتهم كمعيار وحيد للتفاضل، قال تعالى(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)[٣٧]

و– الاستحقاق للهلاك : إن الغرق في الترف يورث غفلة تمنع من الاتعاظ، حتى يباغتهم بأس الله وهم في غمرة لهوهم، قال تعالى(فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)[٣٨].

فالترف آفة مفسدة ومتى ما إستوطنت كيانًا نخرته ونشرت فيه شتى العلل والأوبئة، وأظهرت عليه الكثير من السلوكيات السيئة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى شيء من سلوك المترفين ، كالتمرد على أحكام الشرع ، فمن النماذج القرآنية التي يتجلّى فيها سلوك التمرّد على الشرع وتعاليم السماء عند المترفين هو ما قصّه الله علينا في شأن قوم ثمود ، قال الله تعالى(ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ)[٣٩] ، ففي هذه الآيات يظهر سلوك التمرد عند الملأ المترف ، وكيف أنهم استقبلوا دعوة نبيهم بالرفض والإنكار والتكذيب[٤٠].

ومن سلوكياتهم أيضاً ، هو الجزع والفزع عند المصيبة ، فقد يتصور البعض أن المترفين لفرط تمردهم أقوياء وأشداء، لكن على العكس تماماً فهم يمتازون بالجبن، ولا ثبات لهم إذا دهمتهم مصيبة، ولا صبر لهم إن نزل بساحتهم بلاء، قال الله تعالى (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ)[٤١]، فهذه الآيات تظهر مدى شدة فزع المترفين والذعر الذي يملأ نفوسهم إذا حلت بهم الكوارث وكيف أنهم يولون هاربين[٤٢].

ونظراً لهذه السلوكيات التي يتمتع بها المترفون، لذلك توعّدهم الله بعقاب أليم ، وهذا العقاب على نوعين ، فمنه ما هو دنيوي، وما هو أخروي ، ومن صور العقاب الدنيوي ، هو التدمير والإهلاك، قال الله تعالى(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[٤٣] ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا أرد إهلاك قرية لظلمهم وفجورهم أمر مترفيهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فإستحقوا العقوبة، وحقّ عليهم بذلك الهلاك والدمار، وإنما خصّ المترفين بالذكر، لأن العامة والدهماء يقلدونهم فيما يفعلون ، ولأنهم أسرع إلى الفجور وأقدر على الوصول إلى سبله[٤٤].

أما العقاب الأخروي، فإذا كانت عاقبة المترفين في الدنيا هي الإهلاك والتدمير، فما لهم في الآخرة أعظم وأشد ،قال الله تعالى (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ)[٤٥]، والمراد في هذه الآية إنهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين ومنعمين ، وكانوا يصرون على الذنب الكبير وهو الشرك، فيصف الله سبحانه وتعالى عقابهم الاخروي بأسوء حال ، في ريح حارة من حَرّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظلٍّ من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر[٤٦].

المطلب الثالث : تجليات السنن الإلهية في الأمم المترفة

إن السنن الإلهية ليست نظريات مجردة، بل هي حقائق واقعة ناطقة في جنبات التاريخ ، وعند تتبع مصارع الأمم (أي نهاياتها وسقوطها)، نجد أن القاسم المشترك الأعظم بين الحضارات البائدة هو تفشي "الترف" ، الذي أدى إلى تآكل البنية الداخلية للمجتمع، مما إستوجب تفعيل سنة الإستبدال أو الهلاك ، ولا يمكن الحديث عن تجليات السنن دون الإشارة إلى التحليل الاجتماعي الدقيق الذي وضعه ابن خلدون، والذي يعتبر تفسيراً اجتماعياً للسنة الإلهية ، فقد يرى ابن خلدون أن الدولة مثل الكائن الحي (تولد، تنمو، تهرم، تموت)، والقاتل الأول للدولة هو الترف، وذلك عبر تسلسل منطقي للسنة الإلهية: (مرحلة البداوة " القوة" ، ومرحلة المُلك "الاستقرار" ، ومرحلة الترف ، ومرحلة الزوال "الاستبدال")[٤٧] ، ومن النماذج القرآنية لهلاك الأمم والأفراد بسبب الترف وتحقيق السنن الإلهية:

١- قوم عاد

وهم أقوام من العرب ، كانوا يسكنون بالأحقاف بين حضرموت وعمان، وكانوا يعيشون تحت الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، وذكر أنهم هم أول من عبد الأصنام بعد نوح عليه السلام فأرسل الله لهم هوداً عليه السلام فكذبوه واستكبروا في الأرض بغير الحق[٤٨].

وتُعد قصة قوم عاد النموذج الأبرز للعلاقة بين الترف المادي والجحود، وهي تمثل سنة الإهلاك المباشر بعد قيام الحجة، فقد وصلوا إلى قمة الترف العمراني والقوة الجسدية، حتى وصفهم القرآن بأنهم (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)[٤٩] ، وكان ترفهم يدفعهم لبناء القصور الفارهة على المرتفعات للعبث واللهو لا للحاجة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)[٥٠] .

وقد أثر هذا الترف في سلوكهم، وأورثهم الغرور والشعور بالإستغناء عن قوة الله، فقالوا بمنطق القوة المادية (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)[٥١]، وإتصفوا بكونهم عرباً جفاة كافرين، عتاة متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله، وإلى إفراده بالعبادة، والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه[٥٢] ، قال تعالى (قَالَ ٱلمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَومِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَة وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلكَٰذِبِينَ)[٥٣].

أضف الى ذلك أن ترفهم دفعهم الى الإعتداء على الأقوام الآخر ، ومنها يعرب وبني قحطان ، فقال يعرب" يا بني قحطان إن كان أعطى الله عادا أعظم الأجسام فقد أعطاكم الصبر والجلد فقاتلوهم بإذن الله تعالى" ، ثم التقى بنو قحطان ويعرب ومن معهم مع عاد بموضع من اليمن يقال له (بارق) بين الأحقاف والعالية فإقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمهم يعرب وقتلهم مقتلة عظيمة فقال يعرب في ذلك:

لعمري لقد شادت على الدهر خطبة ... سيوف بني قحطان في يوم بارق[٥٤]

وبذلك تجلت السنة الإلهية، فقد كان ترفهم مقترناً بالتحدي والجحود والاعتداء ، فجاءت العقوبة من جنس تفاخرهم، فسلط الله عليهم "الريح" وهي ألطف الأجسام، لتدمر أشد الأجسام، فجعلتهم كأعجاز نخل خاوية ، قال تعالى (إِنَّآ أَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا صَرصَرا فِي يَومِ نَحس مُّستَمِرّ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُم أَعجَازُ نَخل مُّنقَعِر)[٥٥].

فلما هاجت الريح قام نفر منهم فأدخلوا عيالهم شعباً من شعاب الجبل ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا عنهم الريح فلما ألحت عليهم حفروا الأرض بسيوفهم وغاصوا فيها إلى أنصافهم وكان للقوم قامات وأجسام ، يقال أنه كان يبلغ طول أحدهم اثنتي عشرة ذراعاً، فجعلت الريح تقلعهم وتجعفهم[٥٦].

٢- فرعون وملأه

ويقصد بلفظ (فرعون) البيت الكبير ، وظهر هذا اللقب في أيام الدولة القديمة للحضارة المصرية ، للدلالة على القصر الذي كان يقيم فيه الملك، والذي كانت تُحكم منه البلاد ، وفي عصر الدولة الحديثة

(حوالي ١٥٥٠– ١٠٧٠ ق.م) تطور مفهوم هذا اللفظ ، استُخدم اللقب بوضوح للدلالة على شخص الملك نفسه ، وقد عاصر فرعون مصر مجموعة من الانبياء ومنهم موسى عليه السلام[٥٧].

وقد عرف الله سبحانه وتعالى فرعون قائلاً (وإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)[٥٨] ، فوصفهِ بالإسراف التي هي بؤرة الترف، وبالمقابل عرف لنا القاعدة المجتمعية لفرعون والتابعة له بالسلوك والبيئة المحيطة بهم قائلاً (آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[٥٩].

ومن ثم عرض لنا القرآن الكريم كيف ساق فرعون مجتمعه إلى العقل الجمعي المترف من خلال القانون الذي وضعه لهم ، فقال تعالى (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)[٦٠]، لأنه أشترك وتقابل معهم في نفس الإنحياز ، فرى أن موسى ساحراً ، قال تعالى (قَالَ لِلْمَلَا حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)[٦١] ، فتبعه قومه بسلوك القطيع والأنصياع مؤكدين على ما قال بلا وعي ولا تفكير، وهذا ما نستخلصه من قوله تعالى (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)[٦٢].

وبذلك بدأت مظاهر الترف تتجسد في إدعاء فرعون ، (وَنَادَىٰ فِرعَونُ فِي قَومِهِۦ قَالَ يَٰقَومِ أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وَهَٰذِهِ ٱلأَنهَٰرُ تَجرِي مِن تَحتِيَۖ أَفَلَا تُبصِرُونَ أَم أَنَا خَير مِّن هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِين وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)[٦٣].

ومن نتائج هذا الترف ، هو إستخفاف فرعون بعقول متبعيهِ ، وطلب منهم الخفة والطاعة ، فأطاعوه[٦٤] ، ووصف الله تعالى هذه الطاعة بالفسق فقال (فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين)[٦٥] ، فتكاثرت عند فرعون مقومات الترف وتحقق فيه الإستتدراج الإلهي (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا)[٦٦]، فالسنة الإلهية التي حكمت ترف فرعون هي سنة دقيقة ومركبة يمكن تسميتها بـ "سنة الاستدراج بالنعم، والعقاب من جنس الفخر"[٦٧].

ومن قوانين سنة الإستدراج أن يلقي الله الحجة على الطغاة المترفين ، لذلك كلف موسى عليه السلام، وأمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي ، قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[٦٨]، وقال القرطبي " أي إنه عصى وتكبر وكفر وتجبر وتجاوز الحدّ"[٦٩]

ولم يكن هلاك فرعون مجرد عقاب عشوائي، بل كان تطبيقاً صارماً لقوانين إلهية تعاملت مع نوع "الترف" الخاص به ، فالسنة الإلهية مع الطغاة المترفين لا تكون بإهلاكهم فوراً، بل بزيادة النعم عليهم حتى يظنوا أنهم فوق قدرة الله ، فقد ترك الله لفرعون ملك مصر طويلاً، وأجرى له الأنهار، وأعطاه الذهب، حتى وصل ترفه بإدعاء الألوهية لنفسه[٧٠] ، قال تعالى على لسان فرعون (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[٧١]، وقال الرازي فيما تعنيه هذه الدعوى التي أطلقها لنفسه ، أي فأنا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن إليكم وليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي ، فليس لأحد عليكم أمر ولا نهي إلا لي[٧٢].

وكان الجزاء من جنس العمل ، وعاقبه الله بنفس الشيء الذي تفاخر به ، فقد تفاخر فرعون بإمتلاكه للماء ، (نهر النيل) كوسيلة لإثبات قوته وملكه ، فكان هلاكه في الماء أيضاً ، قال تعالى (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين)[٧٣].

٣- قارون:

وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب، وكان من قوم النبي موسى عليه السلام ، ومن عشيرته ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، ويمثل قارون حالة "الرأسمالية المتوحشة" في المصطلح المعاصر، حيث طغى المال على القيم[٧٤] ، وبلغ ترف قارون حداً وصفه القرآن بدقة مذهلة في قوله تعالى(وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)[٧٥]، فعن الأعمش عن خيثمة، قال :" كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلاً، كل مفتاح منها لباب كنز معلوم، مثل الإصبع، من جلود"[٧٦].

ومن سماته البارزة كان هي الاستعراض، ووصفها الله سبحانه وتعالى بقوله (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)[٧٧] ، فقيل أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي قالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم)[٧٨] أي ذو حظ وافر من الدنيا[٧٩].

وقد دفعه الترف إلى التكبر العلمي والمادي ، ونسبة الفضل لنفسه لا لله، (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)[٨٠]، مما أدى إلى طغيانه على قومه وظلمهم ، وبذلك تحققت فيه سنة العقوبة المباغتة لكسر الكبرياء، ولأن الترف كان تباهياً بالأرض وما عليها ، جاء العقاب بإبتلاع الأرض له، قال تعالى(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)[٨١].

ويمكننا الاستفادة من قصة ترف قارون ، بتقرير حقيقة القيم، والاستمتاع بالطيبات، فترخص من قيمة المال والزينة، إلى جانب قيمة الإيمان، والصلاح، مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة، دون علو في الأرض ولا فساد ، وقد اعترف الإسلام بالملكية الفردية، وقدر الجهد الفردي الذي بذل في تحصيلها من وجوه الحلال التي يشرعها، ولم يهون من شأن الجهد الفردي أو يلغيه، لكنه في الوقت ذاته يفرض منهجاً معيناً للتصرف في الملكية الفردية ، كما يفرض منهجاً لتحصيلها وتنميتها وهو منهج متوازن متعادل، لا يحرم الفرد ثمرة جهده، ولا يطلق يده في الاستمتاع به حتى الترف ولا في إمساكه حتى التقتير[٨٢].

٤- قوم سبأ :

وهي أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، يقال: كانوا عشرة بنين فسميت القرية باسم أبيهم[٨٣].

وورد ذكرهم في القرآن الكريم ، فكانت قصتهم نموذج الدولة الآمنة المستقرة اقتصادياً التي دمرها الترف والملل من النعمة، إذ كانوا يعيشون في رغد من العيش، تحيط بهم الجنان من كل جانب، مع توفر الأمن التام في السفر والتنقل، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا الاستقرار بقوله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ)[٨٤] .

إلا أن بطر المعيشة والترف بدأ ينتشر فيما بينهم ، فلم يشكروا الله، بل ملّوا العافية وطلبوا المشقة والبعد ، من باب الترف والعبث، فقالوا(رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ)[٨٥] ، فقد جعلهم الترف لا يستشعرون قيمة النعمة ، وبذلك تحققت فيهم "سنة تبديل النعم بالنقم"، لم يهلكهم الله بصاعقة، بل دمر اقتصادهم ، فإنهار سد مأرب ، فتحولت الجنات المثمرة إلى أشجار لا نفع فيها، قال تعالى (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)[٨٦].

٤- الترف وسقوط الحواضر الإسلامية (الأندلس نموذجاً)

وإذا كان القرآن الكريم قد خلد ذكر الأمم البائدة كعاد وفرعون لتكون عبرة للمعتبرين، فإن التاريخ الإسلامي المتأخر قد قدم برهاناً ساطعاً على مضي هذه السُنّة ، ولعل في سقوط الأندلس المثال الأقرب والأكثر إيلاماً ، إذ لم يكن السقوط عجزاً في السلاح أو قلة في العدد، بل كان تجسيداً حياً لسنة الله في المترفين، حيث إنغمس ملوك الطوائف في حياة البذخ وتشييد القصور والمنافسة في مجالس الطرب ، وتجلى هذا الترف بوضوح في العادات والتقاليد الاجتماعية، إذ حدث تحول جذري من الخشونة والبساطة إلى الرقة المفرطة التي تضعف الشخصية العسكرية والاجتماعية ، فكان لزرياب[٨٧] أثر بارز في هذا التحول بقرطبة، حيث نقل المجتمع الأندلسي إلى حالة من التعقيد الترفي، فسنّ لهم نظاماً دقيقاً في الملبس يتغير بتغير الفصول، وعلمهم فنون "التسريحات" واستخدام العطور، وترتيب الموائد بإستخدام الملاعق والشوكات ووضع المفارش الجلدية (السفرة) بدلاً من الخشب صيانةً للثياب[٨٨].

إن هذا النوع من "الترف الناعم" صبغ المجتمع الأندلسي بصبغة الدعة والاسترخاء، مما أدى إلى ترهل الجبهة الداخلية وفقدان الجَلَد في المواجهات الطويلة مع الخصوم خلال ما عُرف بحروب الاسترداد[٨٩]، مقارنة بخصومهم، وهكذا كان الترف هو المعول الأول الذي هدم أسوار غرناطة [٩٠]، قبل أن

تصلها خيول الأعداء، تحقيقاً لقوله تعالى(وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً)[٩١]٠

المطلب الرابع : المظاهر الاجتماعية للترف عبر التاريخ الإسلامي:

لم يكن التاريخ الإسلامي بمنأى عن السنن الكونية الحاكمة لنشوء الحضارات وارتقائها ثم أفولها ، ولعل من أخطر المنعطفات التي تواجهها الدول هي لحظة الانتقال من خشونة البداوة والتأسيس ، الى رقة الحضارة والتمكين ، وفي هذه المنطقة الرمادية، تبرز ظاهرة " الترف " لا بوصفها دلالة على الوفرة الاقتصادية فحسب، بل بإعتبارها متغيراً اجتماعياً وسلوكياً ينخر في عضد العصبية التي قامت عليها الدولة ، فالمظاهر الاجتماعية للترف عبر حقب التاريخ الإسلامي المختلفة منذ العصر الأموي، مروراً بالبذخ العباسي، وصولاً إلى الأندلس والمماليك، لم تكن مجرد حوادث عابرة أو قصصاً للمسامرة التاريخية، بل كانت مؤشرات حيوية ترصد بدقة درجة السقوط الداخلي ،عندما تتحول النعم إلى نقم، ويصبح الطعام تفاخراً لا تقوتاً، واللباس تمظهراً لا تستراً، والبنيان تطاولاً لا سكناً ، هنا تتحقق المعادلة القرآنية الصارمة في قوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا)[٩٢] فالمترفون اجتماعياً هم طلائع التفكك السياسي والعسكري[٩٣]٠

ومن المظاهر الاجتماعية للترف عبر التاريخ الإسلامي:

١- **الترف في الأعراس** : تعد حفلات الزفاف المؤشر الاجتماعي الأول لقياس فائض الثروة وكيفية إنفاقها، فقد شهد التاريخ الاسلامي هذا النوع من المظاهر الاجتماعية للترف ، فعلى سبيل المثال لا الحصر زفاف المأمون العباسي من بوران بنت الحسن بن سهل[٩٤] ، ومظاهر الترف في هذا الزفاف كانت واضحة، ولم يُسمع بمثله في الإسلام ، إذ نثر الحسن بن سهل (والد العروس) على الحضور بنادق (كرات صغيرة) من المسك والعنبر، بداخل كل بندقة رقعة بإسم ضيعة، أو عبد، أو جارية، أو فرس، فمن وقعت بيده رقعة تسلم ما فيها فوراً ، كما أوقدت شموع من عنبر وزنه منّا في قناديل الذهب ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه، وكانوا خلقاً لا يحصى، حتى على الجمالين والمكاربة والملاحين وكل من ضمه عسكره، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه ولا لدوابه[٩٥]، وقيل لما دخل المأمون على بوران في يوم زفافها نثرت جدتها على رأسه ألف حبة لؤلؤ نفيسة[٩٦]٠وذكر الطبري أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً، وفرش له الحسن حصيراً منسوج بالذهب، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلىء كثيرة ، وعد له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه، وكان مبلغ النفقة عليهم

خمسين ألف ألف درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم، وأقطعه فم الصلح[٩٧]، فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه[٩٨].

يظهر هذا الحدث بداية إستنزاف بيت المال في الملذات الخاصة، وهو ما مهد لاحقاً للأزمات الاقتصادية في العصر العباسي الثاني.

٢- **الترف المعماري والعبث** : فقد يدفع الترف أحياناً الحاكم للبحث عن المستحيل أو الغريب ، لإشباع رغباته، وهو ما يسمى بـ " السفه المالي" ، ومن أمثلة ذلك بركة الزئبق التي بناها خمارويه بن أحمد بن طولون[٩٩] ، أذ كان يعاني من الأرق، فشكى إلى طبيبه كثرة السهر، فأشار عليه بالتغمير، وهو النخس باليد، فأنف من ذلك، وقال :" لا أقدر على وضع يد أحد علي" ، فقال له الطبيب : "تأمر بعمل بركة من زئبق"، فعمل بركة يقال إنها خمسون ذراعاً طولاً في خمسين ذراعاً عرضاً، وملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالا عظيمة، وجعل في أركان البركة سككاً من الفضة الخالصة، وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة، وعمل فرشاً من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ، فيحكم حينئذ شدة، ويلقي على تلك البركة الزئبق، وتشد زنانير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة، وينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق، ما دام عليه بينما تخدمه الجواري[١٠٠].

وعُرِف عن خمارويه ترفه وإنفاقه وبذخه لِدرجة إنه أنشأ بستاناً جمع فيه كل صنوف الأشجار والطيور في العالم[١٠١] ووصف المقريزي مظاهر الترف في هذا البستان قائلاً " وكسا أجسام النخل نحاساً مذهباً حسن الصنعة، وجعل بين النحاس، وأجساد النخل مزاريب الرصاص، وأجرى فيها الماء المدبر، فكان يخرج من تضاعيف، قائم النخل عيون الماء، فتنحدر إلى فساقي معمولة، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقي سائر البستان، وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة، وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة، وزرع فيه النيلوفر الأحمر، والأزرق والأصفر والجنوى العجيب، وأهدى إليه من خراسان وغيرها، كل أصل عجيب، وطعموا له شجر المشمش باللوز، وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن، وبنى فيه برجاً من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، ليقوم مقام الأقفاص، وزوقه بأصناف الأصباغ وبلط أرضه، وجعل في تضاعيفه أنهاراً لطافاً جداً ولها يجري فيها الماء مدبرا من السواقي "[١٠٢].

فالرابط السنني يظهر واضحاً بنتائج التكلفة الخيالية للزئبق ، وانفصال الحاكم عن واقع رعيته، مما عجل بسقوط الدولة الطولونية السريع بعده ، وهذا مصداق لقوله تعالى (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)[١٠٣].

٣- **الترف في الطعام** : فعندما يصبح الطعام وسيلة للمباهاة وليس للقوت ، يكون مظهر من مظاهر الترف ، ومن الاحداث التاريخية في التاريخ الاسلامي والتي تجسد هذا النوع من الترف هو زفاف الأمير أنوك[١٠٤] ، فقد يصف المؤرخون الإسراف في صنع الحلويات المقدمة في هذا الزفاف ، والتي استخدم بها

كمية كبيرة من السكر الذي كان سلعة غالية، حيث بنى الحلوانيون مجسمات لخيول وطيور وقصور بحجم حقيقي مصنوعة بالكامل من السكر الملون، وقُدمت للحضور، استهلكت هذه الوليمة عشرات الآلاف من قناطير السكر والدقيق، في وقت كانت فيه الدولة تحتاج لتحصين الجبهات ضد التتار والصليبيين[١٠٥].

فهذا "الإسراف الإتلافي" ، وصنع تماثيل لتؤكل أو ترمى هو مصداق لقوله تعالى(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)[١٠٦]، وهو إشارة لقرب انتهاء عصر القوة المملوكية وبدء عصر الانحدار والفتن الداخلية.

٤- **ترف النساء وتأثيره السياسي** : وينتج هذا المظهر حينما يتحكم النساء في مقدرات الدولة بسبب ضعف الخلفاء وانغماسهم في اللذة ، إذ تذكر المصادر التاريخية ثروة السيدة شغب أم الخليفة العباسي المقتدر بالله ، وكان دخل ضياعها يضاهي دخل الدولة، في حين كان الجند يشاغبون لعدم استلام رواتبهم، وبلغ من ترفها أنها كانت تملك الآلاف من الجواري، اللواتي يتحكمن بأمر القصر ، فوصل نفوذ قهرمانتها (ثمل) أن جلست للمظالم وتولى القضاء ونظرت في شؤون الناس[١٠٧].

الخاتمة:

يتضح مما تقدم عن ظاهرة الترف ومآلاتها في ضوء السنن الإلهية، أن التاريخ البشري ليس ركاماً من المصادفات، بل هو كتاب مفتوح تتجلى فيه عدالة الله وحكمته في خلقه ، وقد أفضت هذه الدراسة، بعد إستقراء النصوص الشرعية وإستنطاق الشواهد التاريخية، إلى جملة من النتائج والحقائق، نوجز أهمها فيما يأتي:

أولاً: التمييز المفاهيمي بين "الغنى والترف":

خلصت الدراسة إلى أن الإسلام لا يحارب الغنى ولا يذم التمتع بالطيبات، بل يعتبر المال قياماً للناس وعصب الحياة ، وإنما تكمن العلة في "الترف" بوصفه حالة نفسية واجتماعية تتجاوز حدود الحاجة والكفاية إلى حدود البطر والطغيان، حيث تتحول النعمة من وسيلة للعمارة إلى أداة للهدم، وتصبح "شهوة الاستهلاك" هي المحرك الوحيد للفرد والمجتمع.

ثانياً: حتمية التلازم بين الترف والسقوط (سنة التلازم):

أثبتت الوقائع التاريخية صدق المعادلة القرآنية التي ربطت بين "المترفين" وبين "الفسق" المؤدي إلى "الدمار". فما من أمة انغمس عليتها في الترف، وسلمت قيادها لشهواتها، إلا وكان ذلك نذيراً بزوال ملكها، وقد رأينا في نماذج تاريخية دليلاً صارخاً على ذلك ٠

ثالثاً: الترف كعامل في تفكيك العصبية (المنظور الخلدوني):

تأكد من خلال البحث أن الترف يعمل كـ "مُخَدِّر" اجتماعي يقتل روح الممانعة والفتوة في الأمم فكلما أوغل المجتمع في الترف، ركن إلى الدعة، وفقد "الخشونة" اللازمة للدفاع عن حياضه، وأصبح عالة على غيره، مصداقاً لنظرية ابن خلدون في أن "الترف يذهب بالبأس"، فيكون الهلاك هو المصير المحتوم للدول التي شاخت وهي في قمة ثرائها المادي.

رابعاً: سنة الاستبدال لا تحابي أحداً:

إن السنن الإلهية لا تجامل المسلمين لكونهم مسلمين إذا تلبسوا بأسباب الهلاك التي أهلكت من قبلهم. فسنة الاستبدال هي قانون صارم يسري على الجميع ، فعندما تخلت الأمة عن واجباتها وانشغلت بترف العيش، استبدلها الله بغيرها، أو سلط عليها من يسومها سوء العذاب، ليعيدها إلى جادة الصواب أو ليستأصل شأفتها ٠

وختاماً ، فإن دراسة ظاهرة الترف ليست ترفاً فكرياً، بل هي ضرورة ملحة لاستشراف المستقبل ، إن الحضارة الحقيقية ليست تلك التي تُقاس بارتفاع بنيانها وتكدس أموالها فحسب، بل هي التي توازن بين "المادة والروح"، وتضبط حركة المال بضوابط الشرع والأخلاق ، وإن النجاة من هذه السنة المهلكة لا تكون إلا بالعودة إلى منهج "الاقتصاد في العيش"، وإحياء روح المسؤولية، واليقين بأن النعمة "ابتلاء" وليست "تشريفاً مطلقاً". فمن عرف التاريخ وأبصر سنن الله فيه، أدرك أن دوام الحال من المحال، وأن العاقبة للمتقين لا للمترفين.

الهوامش:

١- سورة سبأ : ٣٤.

٢- البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي ،صحيح البخاري، جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، ٩٦/٤

٣- ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن ،العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢١٠/١ وما بعدها

٤- للمزيد حول أثر الترف في سقوط الأندلس، ينظر: عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٩٧، العصر الثالث (عصر المرابطين والموحدين)، ٣/٣ وما بعدها

٥- سورة الاعراف: ١٧٦

٦- ابن منظور : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، لسان العرب،تح: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ١٧/٩

٧ - سورة سبأ : ٣٤

٨ - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م ، ٥٧٢/٢٠

٩- سورة المؤمنون / ٣٣

١٠- سورة هود / ١١٦

١١- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، دار المرتضوي، طهران، ط٣، ١٤١٧هـ، ٣٠/٥

١٢- ينظر : موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر/١٣٢

١٣ - سورة سبأ:٣٥

١٤ - سورة الإسراء:١٦

١٥- الكرماني: أبو القاسم محمود بن حمزة ،لباب التفاسير/١٨٠١

١٦- سورة الأنعام /١٤١

١٧- باطاهر: احمد سالم محمد ، حديث القران عن الترف والمترفين(دراسة موضوعية) ، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الانسانية ، م١٦، ع٢، ديسمبر ، ٢٠١٩م/ ٢٨٥

١٨- سورة الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢

١٩- سورة الإسراء: ٣٣

٢٠- باطاهر ، حديث القران عن الترف ، المصدر السابق/ ٢٨٥

٢١- القشيري: أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء البصري المالكي ، أحكام القرآن، تح: سلمان الصمدي،ط١، ٢٠١٦ م ، ٨٢/٢

٢٢- سورة الإسراء/٢٧

٢٣- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، تفسير أبي السعود/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٢٩/٦

٢٤- سورة الفرقان /٧٦

٢٥- أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ/١٢٩

٢٦- باطاهر ، حديث القران عن الترف ، المصدر السابق/ ٢٨٦

٢٧- فرد: عارف هنديجاني، المُتْرَفُونَ وصِنَاعَةُ الْفَسَادِ (إشكالية الترف في الدين والسياسة قراءة من منظور قرآني، جمعية القران الكريم ، ط١، بيروت، ٢٠١٤م ، ٦/١

٢٨- ابن منظور : لسان العرب ، المصدر السابق ، ٢٢٥/١٣

٢٩- سورة الأحزاب: ٦٢

٣٠- ينظر : الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ٢٠٠٥ م/١٢٠٧

٣١- ينظر : جاسم : بكار الحاج ، سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية تطبيقية"، دار النوادر بدمشق، ط١، ٢٠١٢م/ ١٩

٣٢- سورة الاحزاب:٦٢

٣٣- سورة الكهف/ ٤٦

٣٤- سورة الإسراء : ١٦

٣٥- سورة هود : ١١٦

٣٦- سورة سبأ : ٣٤

٣٧- سورة المؤمنون : ٣٣

٣٨- الأنبياء : ١٢- ١٣

٣٩- سورة المؤمنون: ٣١ – ٣٤

٤٠- الابياري: إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ، ٣٧٣/١٠

٤١- سورة الأنبياء: ١١ – ١٥

٤٢- ينظر : االماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تفسير الماوردي / النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ٤٣٩/٣

٤٣- سورة الإسراء: ١٦

٤٤- ينظر : ابن عبد سلام : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تح: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٢١٥/٢

٤٥- سورة الواقعة: ٤١ – ٤٥

٤٦- ينظر : البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل في تفسير القرآن / تفسير البغوي، تح: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧ م ، ١٨/٨

٤٧- ينظر: ابن خلدون ،العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق،٦٩١/٧ وما بعدها

٤٨- ابن كثير : عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٢٠/١

٤٩- سورة الفجر : ٧-٨

٥٠- سورة الشعراء : ١٢٨

٥١- سورة فصلت : ١٥

٥٢- ابن كثير ، البداية والنهاية، المصدر السابق ٢٨٨/١

٥٣- سورة الاعراف : ٦٦

٥٤- ابن هشام : عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ، تح: تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ،صنعاء ، ط١، ١٣٤٧ هـ/٤٢

٥٥- سورة القمر : ١٩-٢٠

٥٦- المقدسي: المطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ، أَرنست لرُو الصَحّاف مطبعة برطرند ، باريس، ١٩١٩ م، ٣٧/٣

٥٧- ينظر: قاموس الكتاب المقدس ، ترجمة : جورج يوسف ، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٠١م، ١٥٧/٢

٥٨- سورة يونس: ٨٣

٥٩- سورة يونس: ٨٨

٦٠- سورة غافر:٢٩

٦١ – سورة الشعراء : ٣٤

٦٢- سورة الاعراف : ١٠٩

٦٣- سورة الزخرف: ٥١-٥٢

٦٤ – النفسي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م، ٢٧٧/٣

٦٥ – سورة الزخرف: ٥٤

٦٦- سورة ال عمران : ١٧٨

٦٧ – ينظر : سعيد : محمد رأفت، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء ، مصر، ط١، ٢٠٠٢ م/٩٣

٦٨ – سورة طه : ٢٤

٦٩- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ١٩٢/١١

٧٠- المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري ،فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،ط١، ١٣٥٦ هـ، ٤٠/٥

٧١- سورة النازعات : ٢٤

٧٢- ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، ٤١/٣١

٧٣- سورة يونس : ٩٠

٧٤ – ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، المصدر السابق، ٣٠٩/١٨

٧٥ – سورة القصص: ٧٦

٧٦- الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري / تاريخ الرسل والملوك،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر، ط٢، ١٩٦٧ م، ٤٤٥/١

٧٧- سورة القصص: ٧٩

٧٨- سورة القصص: ٧٩

٧٩- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ،تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ م،٢٣٠/٦

٨٠- سورة القصص: ٧٨

٨١ – سورة القصص: ٨١

٨٢- رفاعي: عاطف إبراهيم المتولي ، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم / دراسة في التفسير الموضوعي،رسالة: ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن،كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ٢٠١١ م /٢٤٠

٨٣ – الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، ط٢، ١٩٩٥ م، ١٨١/٣

٨٤- سورة سبأ: ١٥

٨٥- سورة سبأ: ١٩

٨٦ – سورة سبأ: ١٦

٨٧- علي بن نافع، أبو الحسن، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباس، نابغة الموسيقى في زمنه ، كان شاعرا مطبوعا، عالما ببعض الفنون ، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء، وكان حسن الصوت، وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة، أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد، وسافر إلى الشام، ومنها إلى الأندلس وقد سبقته إليها

شهرته، فركب عبد الرحمن ابن الحكم الأموي، بنفسه، لتلقيه. وجعل له في كل شهر مئتي دينار، واستغنى به عمن عداه من الندماء والمغنين، فأقام بقرطبة، وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر، وكانوا يصنعونه من الخشب. وتوفي بها. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي الأعلام،دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م، ٢٨/٥

٨٨- ينظر: المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ١٢٧/٣ وما بعدها

٨٩- أو حروب الاستعادة بالإسبانية ، هي فترة في تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية، والتي تمتد ما يقرب من ٧٧٠ بين المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي لإسبانيا والبرتغال عام 710 وسقوط غرناطة، آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث أدت إلى توسيع الممالك المسيحية في عام 1492 انتهت حروب الاسترداد قبل وقت قصير من إعادة اكتشاف الأوروبيين ،الذي بشر به في عهد البرتغالية والإمبراطوريات الاستعمارية الإسبانية. السقاف :عَلوي بن عبد القادر الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية، ٣٦٢/٥

٩٠- ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس،المصدر السابق، ٢٦/٥

٩١- سورة الاسراء: ١٦

٩٢- سورة الاسراء: ١٦

٩٣- للمزيد ينظر: مقاربات ابن خلدون حول أطوار الدولة، المقدمة، المصدر السابق ، ٦٩١/٧ وما بعدها؛ طرح زيدان: عبد الكريم ، السنن الإلهية في الامم والجماعات والافراد في الشريعة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٩٩٣ /١٨٣ ومابعدها

٩٤- كانت بارعة في الحسن، صاحبة عقل وكمال وعفة، فبلغ خبرها إلى المأمون فخطبها من أبيها سنة تسع ومائتين ودخل بها سنة عشرة ومائتين، تزوجها في مدينة واسط ، ولما خلا المأمون بها حاضت من هيبة الخلافة .فقالت له " أتى أمر الله فلا تستعجلو ." ، ففطن المأمون لذلك، وأعجب بها٠ الخطيب: ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى العمري، الروضة الفيحاء في أعلام النساء/٧٤

٩٥- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م، ١/ ٢٨٨

٩٦- الخطيب، الروضة الفيحاء في أعلام النساء، المصدر السابق/٧٤

٩٧- مدينة فم الصلح بينها وبين مدينة جبل اثنا عشر فرسخا. ومن فم الصلح إلى مدينة واسط سبعة فراسخ، وبها عرس المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل وزيره٠ المهلبي: الحسن بن أحمد العزيزي، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك،جمعه : تيسير خلف/١١٧

٩٨- ينظر: تاريخ الطبري ، المصدر السابق،٦٠٨/٨

٩٩- أبو الجيوش، هو الحاكم الطولوني لمِصر وسوريا في الفترة بَين (٨٨٤-٨٩٦م) ، تولى إمارة مصر بعد وفاة أبيه أحمد بن طولون ، وتولى قيادة جيوش مصر وهو دون العشرين من عمره، وقد كان لديه كثير من الأعوان، فقد أولى اهتمامًا بالجيش لمواجهة ما ينتظره من تحديات في أعقاب الأحوال السياسية المضطربة التي خلفتها وفاة أبيه ، وعني عناية خاصة بفرقة «المختارة» التي كانت تشكل جنده وحرسه الخاص، كما اهتم بمظهر الجنود وزيهم، ولذلك لقب بأبي الجيوش٠ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المصدر السابق، ٢٤٩/٢

١٠٠- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،المعروف بالخطط المقريزية، تح : خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١٩٩٨،١ م، ١٢٥/٢

١٠١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المصدر السابق، ٢٤٩/٢

١٠٢- المواعظ والاعتبار ، المصدر السابق، ١٢٤/٢

١٠٣- سورة الشعراء : ١٢٨.

١٠٤- هو سيف الدين ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، لم يكن عند أبيه أعز منه على كثرة أولاده، وهو أحسن الإخوة، كان أخوه الناصر أحمد والمنصور أبو بكر وإبراهيم أكبر سنا منه، وهو وحده أمير مئة مقدم ألف، والباقون أمراء أربعين، وكان يحمل رنك جده المنصور،وزوجه السلطان وهو ابن عشر سنين أو دونها بنت الأمير سيف الدين بكتمر الساقي، وكان له عرس عظيم ليلة الجمعة حادي عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة حضره الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، والأمير سيف الدين طينال نائب طرابلس فيما أظن، ونصب الأمير سيف الدين قوصون صاريين في الرحبة قدام الإيوان، عليهما أنواع من الصور والبارود والنفط غرم عليهما ثلاثين ألف درهم، واجتمع الشمع بالنهار في الإيوان من قبل الظهر، وعرض على السلطان وهو جالس على باب القصر على المصطبة الواحدة، وآنوك على المصطبة الأخرى، وإذا عرض الأمير الشمع المختص به باس الأرض وباس يد السلطان ثم يبوس يد آنوك فعل ذلك أربع خمس مرار، ثم منع السلطان من بوس يد آنوك، ولم يزل الشمع يعرض إلى بعد المغرب، ولم يكمل عرضه، وكان مهما عظيما٠ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ م ، ١/ ٦٣٠

١٠٥- ينظر : المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١٩٩٧،١م، ١٤٢/٣

١٠٦- سورة الاعراف: ٣١

١٠٧- ينظر : الصابئ: هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن ، رسوم دار الخلافة ، تح: ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م/٨ .

المصادر:

١- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ،تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ م.

٢-ابن خلدون: عبد الرحمن ،العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت

٣-ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٠٠م

٤-ابن عبد سلام : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تح: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٩٩٦م

٥-ابن كثير : عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١ ، ١٤٢٠ هـ

٦-ابن منظور : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، لسان العرب،تح: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٧-ابن هشام : عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ، تح: تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ،صنعاء ، ط١، ١٣٤٧ هـ

٨-أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، تفسير أبي السعود/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٩-الابياري: إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ

١٠- باطاهر: احمد سالم محمد ، حديث القران عن الترف والمترفين(دراسة موضوعية) ، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الانسانية ، م١٦، ع٢، ديسمبر ، ٢٠١٩م

١١-البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي ،صحيح البخاري، جماعة من العلماء،الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ

١٢-البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل في تفسير القرآن / تفسير البغوي، تح: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧ م

١٣- جاسم : بكار الحاج ، سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية تطبيقية"، دار النوادر بدمشق، ط١، ٢٠١٢م

١٤- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، ط٢، ١٩٩٥ م

١٥- الخطيب: ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى العمري، الروضة الفيحاء في أعلام النساء

١٦- الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١٧- الراغب الاصفهاني :أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

١٨- رفاعي: عاطف إبراهيم المتولي ، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم / دراسة في التفسير الموضوعي،رسالة: ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن،كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، ٢٠١١ م

١٩- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي الأعلام،دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م

٢٠- زيدان: عبد الكريم ، السنن الإلهية في الامم والجماعات والافراد في الشريعة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

٢١-سعيد : محمد رأفت، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء ، مصر، ط١، ٢٠٠٢ م

٢٢-السقاف :عَلوي بن عبد القادر ،الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية

٢٣- الصابئ: هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن ، رسوم دار الخلافة، تح: ميخائيل عواد، دار الرائد العربي – بيروت، ط٢، ١٩٨٦م

٢٤-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ م

٢٥-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م

٢٦-الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري / تاريخ الرسل والملوك،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر، ط٢، ١٩٦٧ م

٢٧-الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، دار المرتضوي، طهران، ط٣، ١٤١٧هـ

٢٨- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة،مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٩٧م

٢٩-فرد: عارف هنديجاني، المُتْرَفُونَ وصِنَاعَةُ الْفَسَادِ (إشكالية الترف في الدين والسياسة قراءة من منظور قرآني، جمعية القران الكريم ، ط١، بيروت، ٢٠١٤م

٣٠-الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ٢٠٠٥ م

٣١-قاموس الكتاب المقدس ، ترجمة : جورج يوسف ، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٠١م

٣٢-القرطبي :أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م

٣٣- القشيري: أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء البصري المالكي ، أحكام القرآن، تح: سلمان الصمدي،ط١، ٢٠١٦ م
٣٤- الكرماني: أبو القاسم محمود بن حمزة ،لباب التفاسير
٣٥- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تفسير الماوردي / النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت
٣٦- المقدسي: المطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ، أَرنست لرُو الصَحّاف مطبعة برطرند ، باريس، ١٩١٩ م
٣٧- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت
٣٨- المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٩٩٧م
٣٩- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية، تح : خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م
٤٠- المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري ،فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،ط١، ١٣٥٦ هـ .
٤١- المهلبي : الحسن بن أحمد العزيزي، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، تح: جمعه : تيسير خلف
٤٢- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.
٤٣- النفسي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م .